

الوحدة الثانية

التطبيقات السياسية في العهد النبوي

وعهد الخلفاء الراشدين

أهداف الوحدة

عزيز الدراس يتوقع منك عند نهاية دراسة هذه الوحدة أن تحقق الأهداف الآتية:-

- ١ -التعرف على سياسة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنها النموذج الأمثل للسياسة.
- ٢ -التعرف على النهج السياسي الذي سلكه الخلفاء الراشدون في خلافتهم.
- ٣ -أن تكون مدركاً أن الدولة الإسلامية كانت تقوم على نظام سياسي منذ نشأتها.
- ٤ -أن تكون قادراً على التعبير عن النظام السياسي للدولة الإسلامية في مهبها.

التطبيقات السياسية في العهد النبوي

القائد ونشأة الدولة:

لم تشهد الدنيا على الإطلاق في قديم الزمان وحديثه قائداً سياسياً مثل محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو الذي اكتملت فيه عليه الصلاة والسلام كل مقومات القيادة من الحكمة وصواب الرأي، وقد قال عنه ربه سبحانه وتعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: 43]، وهو الذي ضرب مثلاً في حبه لرعيته وحبهم له، يقول أبو سفيان في ذلك: (ما رأيت في الناس أحداً يجب أحداً، كحب أصحاب محمد محمداً) (١). وإذا كان من صفات القائد الناجح أن يكون حسن الخلق، فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل الناس خلقاً، ولقد زكاه ربه سبحانه وتعالى بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، والكلام في هذا المجال يطول ولا يمكن حصره.

بدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة بالدعوة إلى الله تعالى قبل نشأة الدولة الإسلامية، ثم أخذ في هذه الفترة يمهّد لقيام الدولة الإسلامية في مكان آخر غير مكة حين أدرك عليه الصلاة والسلام عدم ملائمة مكة لهذه الدولة الجديدة، حيث بدأ يعرض نفسه على القبائل التي تقدم مكة في كل موسم، فلقي مرة نفعاً من الخزرج فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، ثم انصرفوا إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. فلما وصلوا المدينة ذكروا لهم الخبر، فلم يبق دار من دور المدينة إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٢).

وفي العام المقبل بايع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أهل المدينة ببيعة العقبة الأولى، ونصّها: (بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تُسرقوا، ولا تُزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروفٍ، فمن وثق منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفّاره له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك) (٣).

وفي العام الذي يليه بايعهم بيعة العقبة الثانية، ونصّها: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم) (٤).

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، 4/126.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، 1/428.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، حديث رقم 6402، ومسلم في كتاب الحدود، حديث رقم 4426.

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، 1/438-443.

وبعد أن تمت هذه البيعة أصبحت المدينة مهيأة لاستقبال المسلمين، وقيام الدولة الإسلامية الجديدة، فأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه بالهجرة فهاجروا أرسالاً، ثم هاجر عليه الصلاة والسلام بعد ذلك وبصحته أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١).

الأعمال الأولى بعد الهجرة:

١ - بناء المسجد، وأول مسجد بناه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس على التقوى، قال تعالى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: ١٠٨]، وحين وصل النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة بنى مسجده ليكون مقراً للدولة الجديدة ، ففنه تنطلق الجيوش، وترسل الوفود، وفيه تستقبل البعث، ويتشاور فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع صحابته في أمور الدولة، وعلى منبره تصدر القرارات، وتوجه التوجيهات.

٢ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وفي هذا تظهر الحكمة السياسية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال السهيلي: "آخى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين أصحابه حين نزلوا بالمدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض" (٢).

التطبيقات السياسية في العهد النبوي

التطبيقات السياسية لهذه الدولة في العهد النبوي كثيرة لا يمكن حصرها، ولكن حسبنا إعطاء أمثلة منها على النحو التالي:

التطبيق الأول: المعاهدة مع اليهود

اليهود قوم يدينون بدين غير دين النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهم قوم قد سودوا تاريخهم بأفعالهم الشنيعة، ومن جملتها إيذاء الأنبياء وقتلهم، وكانوا يعيشون في المدينة وما حولها حين قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) إليها، لذا كان لا بد من اتخاذ إجراء سياسي يأمن به الرسول (صلى الله عليه وسلم) شرهم، ويكون حجة عليهم حين غدرهم، فكتب بينه وبينهم كتاباً^(٣) فأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم ، وورد في هذه المعاهدة الكثير من البنود التي من شأنها مصلحة الدولة الجديدة وحفظ حق اليهود.

التطبيق الثاني : رأفته بأمته (صلى الله عليه وسلم)

(١) انظر : السيرة النبوية، لابن هشام، 480/1 وما بعدها.

(٢) انظر: الروض الأنف، للسهيلي، 350/2.

(٣) أورد هذا الكتاب ابن إسحاق في سيرته دون إسناد، ونقله عنه ابن هشام في السيرة 504-501/1.

إن الشعب في الدولة، فيهم الضعيف والمسكين وذو الحاجة، ومن الخصال الحميدة في القائد أن يكون بأتمته رؤوفاً، رفيقاً بأحلامهم، معيناً لمحتاجهم، وعلى الرفق بالأمة وعدم المشقة عليهم شدد النبي (صلى الله عليه وسلم) على الولاة حين قال: (اللهم ! من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به) (١).

ولقد ضرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة برفقه في أتمته، ومن ذلك على سبيل المثال: رفته بالأعرابي الذي بال في المسجد (٢). ورفقه بالشباب الذي استأذنه في الزنا (٣). ورفقه بأهل مكة بعد فتحها، حيث كان النبي (صلى الله عليه وسلم) رحيماً حتى بأعدائه، لما دخل يوم الفتح مكة على قريش، وقد أجلسوا بالمسجد الحرام، وصحبه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره، قال ما تظنون أني فاعل بكم؟! قالوا خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال أقول كما قال أخي يوسف: لا تثرِبْ عَلَيْكُمُ اليوم، اذْهَبُوا فَأَنتُمُ الطُّلُقَاءُ (٤).

التطبيق الثالث : الدعوة والجهاد:

كانت العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية الجديدة مع غيرها مبنية على أساس الدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى)، فمن أسلم قُبِلَ منه وكُفِّ عنه، والمعاندون يقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة:29]. انطلق جنود الرحمن من المدينة المنورة، من قلب الدولة الإسلامية النابض بدعوة التوحيد، يدعون إلى الله، ويقاتلون من كفر بالله، وقد أيدهم الله بجنده. فأخذوا يفتحون البلاد تلو البلاد، حتى دانت لهم الأعراب، وخضعت لهم الرقاب، ودخل الناس في دين الله أفواجا. وفي آخر عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) أقبلت الوفود إليه في المدينة (٥)، طائعة مسلمة، أو خاضعة مستسلمة (٦).

ولم يكن من سياسة الدولة الإسلامية اللجوء إلى الحرب إلا بعد عدة مراحل، ويدل على ذلك ما ورد في صحيح مسلم من حديث بريدة عن أبيه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: (... وإذا

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأمانة، حديث رقم 4699.

(٢) انظر القصة عند مسلم، كتاب الطهارة، حديث رقم 657.

(٣) انظر القصة عند الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم 21708.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، حديث رقم 18785.

(٥) وذلك في السنة التاسعة من الهجرة وتسمى سنة الوفود ، انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، 2/ 559.

(٦) انظر: أخبار هذه الوفود في تاريخ الأمم والملوك، للطبري، 1792 وما بعدها. والسيرة النبوية ، لابن هشام، 2/ 559 وما بعدها.

وزاد المعاد، لابن القيم في 3/ 595 وما بعدها.

لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفبيء^(١) شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم^(٢).

ومن السياسة القتالية الإسلامية تحقيق الهدف بأدنى حد من الخسائر حتى في صفوف العدو، ويدل على ذلك أن رسول (صلى الله عليه وسلم) كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً...) (٣). وفي حديث آخر قال: (انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحو وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (٤).

التطبيق الرابع : الرسل والرسائل

من سياسة النبي (صلى الله عليه وسلم) في العلاقات الخارجية ما كان يبعث به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعض صحابته من الرسائل الدعوية إلى الملوك وغيرهم، ومنها ما يلي:

1. كتابه إلى هرقل (عظيم الروم)، الذي أرسل به دحية بن خليفة الكلبي (رضي الله عنه)، جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(٥)، و { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران:64] (٦).

(١) الغنيمة ما كسبه المسلمون من أموال المشركين بحرب، وأما الفبيء ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب. انظر : لسان العرب، ابن منظور، 446/12.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم 4497.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم 4497.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، حديث رقم 2614.

(٥) المقصود بهم الأتباع الذين لم يسلموا تقليداً له.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم 7.

2 . وكتابه إلى كسرى (عظيم فارس)، الذي أرسل به عبدالله بن حذافة السهمي، وجاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس) (١).

3 . وكتابه إلى النجاشي (ملك الحبشة)، الذي أرسل به عمرو بن أمية الضمري.

4 . وكتابه إلى المقوقس (ملك مصر والإسكندرية)، الذي أرسل به حاطب بن أبي بلتعة، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي بعث بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك وغيرهم، والهدف منها دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى (٢).

التطبيق الخامس : العهود والمواثيق

العهود والمواثيق نوع من العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية مع غيرها، ومن ذلك صلح الحديبية الذي أجراه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع كفار قريش، الذي سماه الله سبحانه وتعالى فتحاً، كما في قوله: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } [الفتح:1].

وكان من بنود هذا الصلح ما يلي:

- 1- وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.
- 2- من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً من محمد لم يردوه عليه.
- 3- أن بينهم عيبة مكفوفة (٣).
- 4- لا إسلال ولا إغلال (٤).
- 5- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه.
- 6- أن يرجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يعتمر في هذا العام، وإذا كان العام المقبل تخرج قريش من مكة فيدخلها الرسول وأصحابه معهم سلاح الراكب ويقيمون ثلاثاً (٥).

(١) زاد المعاد، لابن القيم، 688/3.

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، 688/3 وما بعدها.

(٣) أي صدور منظومة على ما فيها، لا تبدي عداوة.

(٤) الإسلال: السرقة الخفية، والإغلال: الخيانة.

(٥) البخاري، كتاب الشروط، حديث رقم 2581. وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، 317، 3182.

ثمار صلح الحديبية:

- إن صلح الحديبية كان بمثابة النصر للدولة الإسلامية، وانتشار الإسلام بشكل أوسع في الجزيرة العربية وما حولها، ومن أبرز نتائج هذا الصلح، ما يلي:
- ١ - اعتراف قريش بمكانة المسلمين، كفريق قوي ترم معه المعاهدات.
 - ٢ - استراحة المسلمين من الحرب، التي شغلته واستهلك قوتهم.
 - ٣ - بذل الجهد في الدعوة إلى الإسلام في ظل الأمن والسلام.
 - ٤ - تفرغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمخاطبة قادة بعض الدول، كقيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس، وأمراء الأعراب، ودعوتهم إلى الإسلام.
 - ٥ - أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين أن يحتلط بعضهم ببعض، فيطلع المشركون على محاسن الإسلام^(١).
 - ٦ - تفرغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمحاربة اليهود، حيث خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد نحو من شهرين إلى غزوة خيبر.
 - ٧ - ازدياد عدد المسلمين في هذه الفترة، ومما يؤكد ذلك قول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك^(٢).

(١) انظر: السيرة النبوية، للدوي، ص 280-282.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، 322/2.

التطبيقات السياسية في عهد الخلفاء الراشدين

التطبيقات السياسية في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يوص لأحد من الناس بالخلافة من بعده، فأدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية تعيين خليفة من بعده، ولم يشغلهم المصاب الجلل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك؛ لأن فقد صاحب السلطة العليا في الدولة هي مرحلة خطيرة من حياة الأمم، يخشى أن يغتنمها المفسدون فتثور الفتن^(١).

وبعد أن تولى الصديق (رضي الله عنه) الخلافة، سار في الناس على منهج صاحبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويمكن الوقوف على بعض التطبيقات السياسية من خلافته على النحو التالي:

التطبيق الأول: إعلان منهجه السياسي

لما بايع الناس أبا بكر الصديق (رضي الله عنه)، خطب فيهم مبيناً منهجه السياسي، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: (أما بعد: أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطيع الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)^(٢).

فهذه الخطبة على إيجازها تبين لنا الكثير من المنهج السياسي لأبي بكر الصديق (رضي الله

عنه)، ومن ذلك على سبيل المثال، ما يلي:

- ١ - عدم الرغبة الشخصية من أبي بكر (رضي الله عنه) بالخلافة، وأن تعيينه كان بإرادة الأمة.
- ٢ - التواضع الجرم من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وهو في الحقيقة خير الأمة بعد رسولها (صلى الله عليه وسلم).
- ٣ - جعل الناس شركاء له في المسؤولية بإعانتته عند الإحسان، وتقويمه في حال الإعوجاج، وحاش لأبي بكر الصديق أن يعوج.
- ٤ - الحرص على سلامة الناس في دينهم.
- ٥ - العزم على رد حقوق الضعفاء المظلومين، وقهر الظالمين.

(١) انظر قصة تولي أبي بكر الخلافة عند البخاري، كتاب فضل الصحابة، حديث رقم 3467.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، 4/318.

٦ - التأكيد على أن طاعة الناس له مقرونة بطاعة الله ورسوله.

التطبيق الثاني: الحزم في تنفيذ توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم):

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) من أشد الناس حزمًا في تنفيذ توجيهات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يدل على ذلك أن الجيش الذي جهّزه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقيادة أسامة، فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل مسير الجيش، فأشار بعض الصحابة على أبي بكر الصديق أن يرد الجيش إلى المدينة تحسباً ونظراً لارتداد بعض العرب، وأشار آخرون بتولية القيادة من هو أكبر سناً من أسامة (رضي الله عنه)، إلا أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) واجه ذلك بحزم، فقال: (والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ما رددت جيشاً وجهه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا حللت لواءً عقده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١).

التطبيق الثالث: الحزم في مواجهة المرتدين:

فما أن تقلد أبو بكر الخلافة حتى نجم النفاق، وأشرأبت اليهود والنصارى، وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية؛ لفقد نبيهم (صلى الله عليه وسلم)، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم. فلما اشتهرت وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب، منهم من ترك الإسلام بالكلية، ومنهم من منع الزكاة، وكان الناس في مانعي الزكاة على رأيين: الأول: عدم مقاتلتهم، مستدلين بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) (٢)، وعلى رأس أصحاب هذا الرأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

الثاني: قتالهم على منع الزكاة، وعلى رأس أصحاب هذا الرأي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، واحتج بقوله: (والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً^(٣) كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه) (٤). وهذا الرأي هو الذي اتفقت عليه كلمة المسلمين بعد ذلك.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، 6 / 305. وانظر تاريخ ابن خلدون 2/ 489.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم 25. ومسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 125.

(٣) هكذا في مسلم (عقالاً) وكذا في بعض روايات البخاري، وفي بعضها (عناقاً)، وهي الأنثى من ولد المعز، وكلاهما صحيح. وذهب كثير من المحققين إلى أن المراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، 1 / 208.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم 1235.

سار أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في كبح جماح الجاهلين، وقتال المرتدين، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، وضرب من أدبر منهم بمن أقبل، حتى أصاحوا (١) جميعاً لحكم الله، ودخلوا الإسلام طوعاً أو كرهاً، وانتظم أمر الإسلام، وحمد الناس لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) رأيه، وعرفوا له مكانته وفضله. وسار بالناس في سياسته متبعاً أمر الله، وهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

التطبيقات السياسية في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

تولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة باستخلاف من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وذلك أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف على المسلمين بعد موته، وكان يعرف مكانة عمر وأهليته لهذه المهمة، إلا أنه مع ذلك لم ينفرد برأيه فاستشار فيه عدداً من كبار الصحابة (رضي الله عنهم)، مثل عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله (رضي الله عنهم أجمعين)، فلما اطمأن أحضر عثمان خالياً ليكتب عهد عمر، ثم أمر أن يُقرأ الكتاب على الناس بعد ذلك، فقالوا سمعنا وأطعنا، ثم أحضر عمر فأوصاه (٢).

تولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أمر المسلمين فكان خير خلف لخير سلف، وسع الدولة الإسلامية، وفتح كثيراً من البلدان، ففتح مصر والعراق والشام وفلسطين، واستحدث التنظيمات الإدارية للدولة الإسلامية، فدوّن الدواوين، كديوان العطاء، وديوان الجند.

وضرب (رضي الله عنه) أروع الأمثلة في سياسة الأمة، ويمكن الإشارة إلى بعض الشواهد من التطبيقات السياسية في عهده (رضي الله عنه)، على النحو التالي:

التطبيق الأول: تواضعه وطلبه للحق

تصور لنا قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع المرأة حين أراد تحديد المهور ما بلغه من غاية في التواضع، واعتراف بالخطأ، ورجوع إلى الصواب مع ما هو عليه من حرص على مصلحة الأمة. حيث قالت المرأة في اعتراضها: "يا أمير المؤمنين، أنهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مئة درهم؟"، قال: "وما ذاك؟". قالت: "أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟!" قال: "وأبي ذلك؟" قالت: "أو ما سمعت الله يقول: {وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَ بِهَتَّانَ وَإِنَّمَا مِثْلُنَا} [النساء: 20]". فقال: "اللهم غفراً كل إنسان أفقه من عمر"، ثم رجع فركب المنبر،

(١) أصاح له: أي استمع وانصت له. انظر: مختار الصحاح، مادة (صوخ).

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك ، الطبري، 353، 352/ 2. والكامل في التاريخ ، لابن الأثير، 2 / 79، 80. وتاريخ الخلفاء ، للسيوطي، ص 144.

فقال: "أيها الناس إني كنت نهيتمكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل" (١).

لقد اشتمل هذا الموقف على جوانب من سياسته، أهمها:

- ١ - عنايته بقضايا المجتمع، حيث أدرك غلاء المهور، وأراد التيسير على الناس.
- ٢ - تواضعه (رضي الله عنه) حيث استجاب للمرأة المعترضة، ونزل من على المنبر لسمع مقولتها.
- ٣ - سرعة رجوعه للحق حين أدرك صواب رأي المرأة، مع أن لولي الأمر أن يتخذ ما يراه في صالح الرعية في مثل هذه الأمور.

- ٤ - احترام آراء الآخرين ولو كانوا من ضعفاء الرعية، فلم تكن تلك المرأة من كبار الصحابة المعروفين بتدبير الأمور.

التطبيق الثاني : عدله في رعيته

اشتهر عدل عمر عند من عرف سيرته، وقد شهد بعدله حتى الأعداء، والمواقف في ذلك كثيرة، منها ما رواه الشَّعْبِيُّ قال: (كان بين عمر وبين أبي بن كعب (رضي الله عنهما) خصومة. فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فجعل بينهما زيد بن ثابت رضي الله عنه. فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم. فلما دخلا عليه وسَّع له زيد عن صدر فراشه، فقال: ها هنا أمير المؤمنين. فقال له عمر: هذا أول جُورٍ جُرَّت في حكمك، ولكن أجلس مع خصمي، فجلسا بين يديه. فادَّعى أبي وأنكر عمر، فقال زيد لأبي: أعفِ أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمر، ثم أقسم: لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمرُ ورجلٌ من غُرَض المسلمين عنده سواء (٢). وفي موقف آخر لما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يجد عنده حاجباً ولا بواباً، فقبل له: هو في المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان: يا عمر عدلتَ فأمنتَ فمنت! (٣).

التطبيق الثالث: سياسته في عماله

من شدة حرص عمر بن الخطاب على مصالح المسلمين، كان له عناية فائقة في تولية عماله فكان يشترط عليهم قبل توليتهم، ويحاسبهم إذا ولاهم، قال خزيمة بن ثابت: (كان عمر إذا استعمل

(١) زاد المعاد، لابن القيم، 475/5.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي، 226/2.

(٣) سراج الملوك، الطرطوشي، 42/1.

عاملاً كتب له واشترط عليه ألا يركب برذونا (١)، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة (٢).

كل هذه الشروط مفادها أن لا يكون الوالي منعماً مرفهاً على حساب منصبه ووظيفته، بل عليه الاقتصاد في مأكله وملبسه ومركبه.

التطبيقات السياسية في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من بين الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهم:

1- عثمان بن عفان 2- علي بن أبي طالب

3- طلحة بن عبيد الله 4- الزبير بن العوام

5- سعد بن أبي وقاص 6- عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنهم أجمعين).

وبعد مداورات ومشاورات في الأمة استقر الرأي على عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، خليفة للمسلمين (٣).

وفي عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، اتسعت الدولة الإسلامية، ففتح إفريقية، وأرمينية، وقبرص، وخراسان، وسجستان، وغيرها من البلدان (٤). ومن التطبيقات السياسية في عهده (رضي الله عنه)، ما يلي:

التطبيق الأول: خدمته للدولة

لقد كان لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) أعمال جليلة في خدمة المسلمين والدولة الإسلامية الجديدة، منها ما كان قبل خلافته، ومنها ما كان أثناء خلافته، فهو الذي اشترى بماله بئر رومة فجعلها سبيلاً للمسلمين، واشترى أرضاً لزيادة مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو الذي استجاب لنداء النبي (صلى الله عليه وسلم) لتجهيز جيش العسرة (٥)، وهو الذي جمع القرآن الجمع الثاني حرصاً على جمع كلمة المسلمين، وغير ذلك من الأعمال الجليلة (٦).

التطبيق الثاني: زهده وتواضعه

(١) البرذون: هو الدابة، والجمع براذين. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج. انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (برذن).

(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص 140.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، 3/144-147.

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، 2/591. والبداية والنهاية، ابن كثير، 7/151. وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص 171، 172.

(٥) حديث تجهيز جيش العسرة أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، حديث رقم 3700.

(٦) انظر: عصر الخلافة الراشدة، الدكتور أكرم ضياء العمري، ص 70.

اشتهر عن عثمان (رضي الله عنه) أنه من أغنياء الصحابة، ومع هذا الغنى فقد كان زاهداً في الدنيا مقلاً على الآخرة، ولم تزده الخلافة إلا زهداً، فعن الحسن قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد وردأوه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه فيجلس كأنه أحدهم^(١). وعن عبد الله الرومي قال كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه، فقليل له لو أمرت بعض الخدم فكفوك، قال لا الليل لهم يستريحون فيه^(٢).

التطبيق الثالث: سعيه لمصلحة الرعية:

ورد عن موسى بن طلحة، قال: رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة وعليه ثوبان أصفران، فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن مرضاهم. بل وأعظم نفع قدمه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) للأمة هو جمعه للقرآن الكريم والذي مازالت الأمة تستفيد منه إلى اليوم، بل وإلى قيام الساعة، فجزى الله عثمان على هذا العمل خير الجزاء. **التطبيقات السياسية في عهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):**

تولى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكانت توليته باختيار من أهل الحل والعقد في الأمة، وكانت هذه الفترة التي تولى فيها علي (رضي الله عنه) من أشد المراحل التي مرت بالأمة الإسلامية، فكان علي (رضي الله عنه) جديراً بأن يقود هذه المرحلة من حياة الأمة، وله في خلافته (رضي الله عنه) تطبيقات عدة، منها على سبيل المثال:

التطبيق الأول: تغليه لمصلحة الأمة في قبول الخلافة

لما قتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين^(٣)، أدرك المسلمون خطورة الوضع وحاجة الناس إلى خليفة يلم شملهم ويدبر أمورهم، فالتجّعت الأنظار إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، الذي لم يطلب لنفسه البيعة ولم يكن حريصاً على الخلافة، ولكن وجوه الناس من المهاجرين والأنصار اجتمعوا إلى علي وأقسموا عليه، وناشدوه حفظ بقية الأمة وصيانة دار الهجرة، فقبل ذلك بعد شدة مغلباً لمصلحة^(٤). وكان قد اعتذر بقوله: (لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير)^(٥).

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، الطبري، 46/3.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد 60/3.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، 31/3.

(٤) انظر: التمهيد، للهاقلاي، ص 230. وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان حمد العودة، ص 170.

(٥) البحر الزخار، كتاب مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم 891.

ومما يؤكد هذه النظرة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، قوله: (وَبَيِّنْتُ وَأَنَا كَارِهِ، وَلَوْلَا خَشْيَةُ عَلِيِّ الدِّينِ لَمْ أَجِبْهُمْ) (١)، أي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لم يقبل الخلافة إلا من أجل الدعوة إلى الله.

التطبيق الثاني: مراقبة الناس وإرشادهم

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شديد الحرص على استقرار المجتمع وسير أموره بشكل حسن؛ لذا فقد كان (رضي الله عنه) يباشر مراقبة الناس ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وصالح مجتمعاتهم، ومن ذلك ما حكاه أبو طر، قال: (خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك؛ فإنه أبقى لشوبك، وأتقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فمشيت خلفه وهو مؤنزر بإزار، ومرتد برداء ومعه الدرة؛ كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ فقلت: أجل، أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط، وهو بسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا؛ فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طائي) (٢).

التطبيق الثالث: موقفه من الخوارج

ظهرت طائفة الخوارج في عهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فكانت سياسته معهم سياسة حكيمة متدرجة، تتمثل فيما يلي:

1- بيان المعتقد الصحيح: فقد بين علي (رضي الله عنه) ما جاءت به الخوارج من بدع حتى لا يندفع بهم الناس، فمن هذا الجانب أيضاً رده على الخوارج (المحكمة) في بداية ظهورهم، ومن ذلك ما في مصنف عبد الرزاق عن أبي إسحاق قال: لما حكمت الحرية (٣)، قال علي: ما يقولون؟ قيل: يقولون: لا حكم إلا لله. قال: الحكم لله، وفي الأرض حكام، ولكنهم يقولون: لا إمارة. ولا بد للناس من إمارة يعمل فيها المؤمن، وسيتمتع فيها الفاجر والكافر، ويبلغ الله فيها الأجل (٤). وفي رواية: لما سمع علي المحكمة قال: من هؤلاء؟ قيل له: القراء. قال: بل هم الخيابون العيابون، قيل إنهم يقولون: لا حكم إلا لله. قال: كلمة حق عزي بها باطل (٥).

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 4/ 491.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، 4/8.

(٣) أي لما تنادوا في المسجد - وعلي يخطب - وقالوا: لا حكم إلا لله.

(٤) المصنف لعبد الرزاق، كتاب اللقطة، حديث رقم 18654.

(٥) المصنف لعبد الرزاق، كتاب اللقطة، حديث رقم 18655.

- 2- المناظرة: حيث بعث إلى الخوارج عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) يناظرهم في أقوالهم المبتدعة.
- 3- التهديد والوعيد: وذلك حين أصر القوم على ضلالهم، ولم يُجِدْ مع بعضهم المناظرات المتعددة، والنداءات المتكررة والرسائل المتنوعة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأصحابه، كان لابد من القسوة معهم وأخذهم بالحزم، فكان التهديد والوعيد لهم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (١).
- 4- القتال: وهذه هي المرحلة الأخيرة معهم، ولم يقرر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قتالهم، إلا حين تفاقم خطرهم وتعاضل شرهم، وأحدثوا أموراً عظيمة، وكاتبهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولكنهم مصرون على ضلالهم وفسادهم، حتى عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب بن الارت، حيث أسروه وامراته معه وهي حامل (٢).

مراجع للاستزادة

- ١ - زاد المعاد، ابن القيم.
- ٢ - عصر الخلافة الراشدة، أكرم ضياء العمري.
- ٣ - البداية والنهاية، ابن كثير.
- ٤ - السيرة النبوية، ابن هشام.

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 120/3. والكامل في التاريخ، ابن الأثير، 404/2. والإمامة والسياسة، لابن قتيبة، 127/1.

جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، 412/1.

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، 287/7.